مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 9 / العـدد: 01 (2021)، ص ..- ..

(فلسفة التحول الديني بين الإستصنام الطوطمي وآيات القرآن

Philosophy of religious conversion between the totemic idols and verses of the Qur'an

بن سالم عبد الله[1] ، أشراف أستاذ التعليم العالي: سحوان عطاء الله
جامعة زيان عاشور (الجلفة)، dadasalm223@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ../../2020 تاريخ القبول: ../../2020 تاريخ النشر: ../../2020

ملخص:

لكل نبي معجزة، ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم القرآن، فهو كتاب يبين لنا ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا ويساير الزمان والمكان بديمومة أعجزت كل عالم وباحث ومفكر، فمهما إستصنم عالم نظرية علمية ما أو قاعدة علمية محققة ما واتخذها صنما له يقارع بها كل مفكر إلا ويجد آيات القرآن قد وصفتها بصورة أدق لا نظير لها، وبتعبير قوي لا ند له، فلقد لا حظنا عبر تاريخيا بأن كل النظريات العلمية التراكمية قد فشلت، منها ما تلاشى واندثر بسبب نظريات أخرى حديثة أبطلتها، ومنها ما وقف عاجزا أمام آيات القرآن التي تكلمت عن الكون وكيفية حركة الأجرام السّماوية' وكذلك التي بينت مراحل تكون الجنين بالإضافة إلى التي وضحت الضوء امتصاصا وتبددا وانعكاسا(الشفق والسوق واتسق)، كل هذا أدى إلى تحول ديني لبعض علماء الغرب وباحثيه ومفكريه من ديانات مختلفة إلى الدين الإسلامي الحنيف، لأن نظرياتهم واستنتاجاتهم لم تجابه آيات القرآن، فانكسرت الموجودات التوتمية كلها سواء كانت فردية أو جماعية أمام عظمة القرآن، وخير دليل قول المستشرق فون هامر في مقدمته ترجمته للقرآن: «القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمد قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون

ثمرة قريحة بشرية، بل القرآن وحي من اله، لا يحده زمان ومتضمن للحقيقة المركزة"(هوفمان مراد،1993،ص112).

كلمات مفتاحية: التحول الديني، الاستصنام الطوطمي، آيات القرآن، النظريات العلمية، الإسلام.

تصنيفات **JEL** : لم أجد ما يوافق الكلمات المفتاحية في تصنيف JEL لهذا الشهر

Abstract:

Every Prophète has the miracle and miracle of Muhammad, MayGood bless him and Grant him peace, the Qur'an, It is a book that shows us our past, present, and future, and keeps pace with time and place with a permanence that has prevented every scientist, researcher and thinker Whatever a scientist adopts a scientific theory or an established scientific base and takes it as an idol with which every thinker fights with it. Otherwise, he finds the verses of the Qur'an described in an incomparably more accurate and unmatched expression with a strong and unparalleled expression, We have historically not been lucky that all the cumulative scientific theories have failed, some of them faded out and disappeared due to other modern theories that have superseded them, Some of them stood helplessly in front of the verses of the Qur'an that spoke about the universe and how the heavenly bodies move. As well as the one that showed the stages of fetal formation in addition to the one that showed light absorption, dissipation and reflection (twilight, ambiance, and consistency), All this led to a religious transformation of some Western scholars, researchers and thinkers from different religions to the true Islamic religion, Because their theories and conclusions did not confront the verses of the Qur'an. So all totemic assets, whether individual or collective, were broken before the greatness of the Qur'an. A good evidence saying Orientalist von Hammer in his introduction to his translation of the Qur'an: "The Qur'an is not only the constitution of Islam, but it is the culmination of the Arab statement. The amazing style of the Qur'an testifies that the Qur'an is a revelation from God, and that

Keywords: Religious conversion- Altotmic hostility- Qur'an Verses- Scientific theories- Islam

JEL Classification Codes: I couldn't find a match for the keywords in this month's JEL ranking

المؤلف المرسل: بن سالم عبد الله،

1. مقدمة:

خلق الإنسان على الفطرة عبدا لله، تميل به فطرته إلى إتخاذ قوة خارقة يرجع إليها أثناء خوفة ومرضه وكل مايصيبه من نقص في حياته خاصة، والإنسان دائما في حيرة من أمره وفي بحث متواصل لمعرفة الحقيقة، وكشف المجهول والخبايا الكونية، يريد معرفة كل الظواهر التي تحيط به بغية تذليلها والاستفادة منها، لذلك نجد الكثير ممن يستصنم فكرة ما أو نظرية علمية ما كالنظرية النسبية لأنشتاين أو لما توصل إليه العلم الحديث من مراحل تكون الجنين، وعندما يصطدم بآيات القرآن يقف عاجزا وكأن توتمه العلمي هذا أصغر مما جاء به القرآن فينتج الحراك الديني من اتجاه إلى أخر أو من دين إلى ثان، وكثيرا ما نلاحظ دخول علماء الغرب في الدين الإسلامي من جراء لما لحق لتوتمهم من استصغار وضعف فوجدوه لا ينفعهم أمام آيات القرآن. لذلك أردت أن أعالج هذا الموضوع بتسليط الوميض على توتمية الظاهرة العلمية وما توصل إليه العلم الحديث من حقائق مثبتة تجريبيا ومحيرة للعقول، ونزولها دون وصف آيات القرآن لها، مبينا بعض من آيات القرآن التي أدهشت العلماء، مع سرد أقوال في شأن القرآن وعظمته التي هي من عظمة الله.

لذا توجب علي طرح الإشكال الآتي: ما مدى صمود الإستصنام التوتمي للعلم أمام آيات القرآن؟ كلما أُسْتُصْنِمتْ نظرية أو قاعدة علمية محققة إلاّ وتستصغر أمام آيات القرآن فسبحان الله، لهذا استخدمت المنهج التحليلي الوصفي وهو "طريقة في البحث عن الحاضر، وتهدف إلى تجهيز بيانات لإثبات فروض معينة تمهيدا للإجابة على تساؤلات محدد سلفا بدقة تتعلق بالظواهر الحالية.

2/ الحراك الديني أو التحول الديني (Religious Mobility):

2-1/المفهوم اللغوي والاصطلاحي للدين:

2-1-1التعريف اللغوي:

دان بـ: يدين، دن، دينا وديانة: فهو دين،

والمفعول به مدين به... فدان بالإسلام: اتخذه دينا تدين بالإسلام، وتشدد في أمر دينه وعقيدته عالم متدين، واقترض فصار مدينا تدين مبلغا لم يسدده". (أحمد مختار،2008،ص795-796)

2-1-2/التعريف الاصطلاحي:

أما في الاصطلاح، فهناك معان عديدة، تختلف حسب الهيئات الصادرة عنها أو المدارس الفكرية التي تعطيه كتعريف اصطلاحي للدين. إذ يطلق الدين عند الفلاسفة القدماء على "وضع إلهي يسوق ذوي العقول إلى الخير.

بينما يعبر به في الفلسفة الحديثة على عدة معان، من بينها أنه "مؤسسة اجتماعية تضم أفرادا يتحلون بالصفات الآتية:

"1/قبولهم بعض الأحكام المشتركة، وقيامهم ببعض الشعائر.

2/ إيمانهم بقيم مطلقة، وحرصهم على توكيد هذا الإيمان وحفظه.

3/اعتقادهم أن الإنسان متصل بقوة روحية أعلى منه، مفارقة لهذا العالم أو سارية فيه، كثيرة أو موحدة." (جميل صليبيا،1982،ص573)

كما جاء بأن الدين يشير إلى نسق فردي لمشاعر واعتقادات وأفعال مألوفة، موضوعها معرفة الله وطاعته. "الدين هو تحديدا المطالبة بوجهة نظر الشعور والإيمان، إلى جانب وجهة نظر العلم". (اندري لالاند،2001،ص1204)

2-1-3/التعريف الإجرائي للدين:

الدين هو التشريع الإلاهي لعباده الذي يشمل العبادات والمعاملات التي تكون في الدنيا من أجل سعادة الآخرة.

3-/ العامل الديني:

من أهم عوامل التغير الاجتماعي والثقافي العامل الديني وخاصة التغير في المعتقد من أي ديانة في العالم إلى الدين الإسلامي، الذي يتسبب في التغير في المعاملات والسلوكيات بين الجماعات المعتنقة للدين الجديد.

"كما أكد بنيامين كيد الفيلسوف الانجليزي ما أشار إليه المؤرخ الفرنسي كولانج من أن الدين هو القوة الوحيدة المؤثرة في التقدم فالدين هو الذي يوحد بين الأجيال ويحقق التكامل بين المجتمعات وينقذ الحضارة من الأفكار المتطرفة، والدين هو الذي يسمح بوجود تقدم اجتماعي وتغير مستمر." (محمود عودة،1989،ص146-147)

4/التحول الديني لبعض علماء الغرب:

4-1/عالم الأجنة والتشريح اليهودي روبرت غيلهم

عالم الأجنة (تاجاتات تاجاسون)التايلندي البوذي.

<u>تكوين الجنين في القرآن الكريم:</u>

إنّ القرآن الكريم لا يَخلوا مِنَ الإعجازات العلميّة العَظيمة والتي يَشهَدُ عليها العِلمُ الحديث، وَمِن هذِهِ المُعجِزات هِيَ خَلقِ الإنسان وَهُوَ فِي بطنِ أمّهِ حَيثُ قال الله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) **(المؤمنين الآيات 12-13-14)**

لذلِكَ هُناكَ مُعجِزَة علميّة فِي هذِهِ الآية والتي تتحدّث عَن طَورِ الإنسان مُنذُ بدايةِ خلقه إلى أن أصبح إنساناً مُتكامِلاً، وهذا الإعجاز قَد تحدّى العلماء بالوصف الذي لا مثيل له.

4-2/دهشة يوشيدي كوزاي وإسلام روبرت بالمر بيزلي:

من معجزات القرآن الكريم التي أذهلت العلماء وجعلت منهم إمّا مسلمين متحولين من معتقد إلى آخر،أو منصفين للقرآن معترفين بإعجازه وعلميته، وسنذكر منها البعض مما حيرت الكثير من العلماء والمفكرين في أنحاء العالم:

قال الله: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاْءِ وَهِيَ دُخَاْنٌ) (فصلت الآية 11)

أُلقِيَت هذه الآيات في المؤتمر العلمي للإعجاز القرآني الذي عقد في القاهرة ولما سمع البروفيسور الياباني (يوشيدي كوزاي) تلك الآية نهض مندهشاً وقال لم يصل العلم والعلماء إلى هذه الحقيقة المذهلة إلا منذ عهد قريب بعد أن

التَقَطِت كاميرات الأقمار الاصطناعية القوية صوراً وأفلاماً حية تظهر نجماً وهو يتكون من كتلة كبيرة من الدخان الكثيف القاتم. ثم أردف قائلاً إن معلوماتنا السابقة قبل هذه الأفلام والصور الحية كانت مبنية على نظريات خاطئة مفادها أن السّماء كانت ضباباً.

وقال بهذا نكون قد أضفنا إلى معجزات القرآن معجزة جديدة مذهلة أكدت أن الذي أخبر عنها هو الله الذي خلق الكون قبل مليارات السنين.

قال الله: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَوَاْتِ وَالأَرْضَ كَانَتَاْ رَتْقَاً فَفَتَقْنَاْهُمَاْ) (الأنبياء الآية30)

3-4/ أستاذ القانون اليهودي:

كان هناك أستاذ مصري للقانون يعمل بإحدى الجامعات الأمريكية،يقول :"كنا في حوار قانوني وكان معنا أحد أساتذة القانون من اليهود، فبدأ يتكلم ثم بدأ يخوض في الإسلام والمسلمين، فأردت أن أسكته فسألته: هل تعلم حجم قانون المواريث في الدستور الأمريكي؟

قال: نعم،أكثر من ثمانية مجلدات. فقلت له: إذا جئتك بقانون للمواريث فيما لا يزيد علي عشرة سطور. فهل تصدق أن الإسلام دين صحيح؟ قال: لا يمكن أن يكون هذا. فأتيت له بآيات المواريث من القرآن الكريم وقدمتها له. فجاءني بعد عدة أيام يقول لي: لا يمكن لعقل بشري أن يحصي كل علاقات

القربى بهذا الشمول الذي لا ينسى أحداً ثم يوزع عليهم الميراث بهذا العدل الذي لا يظلم أحداً. ثم أسلم هذا الرجل. فكانت آيات المواريث وحدها سبيلاً إلي اقتناع هذا الرجل اليهودي بالإسلام.

5/الاستصنام الطوطمي:

1-5/"التوتم " (حسين علي مصطفى،1991،ص62) اسم مأخوذ من لغة الهنود الحمر في أمريكا الشمالية ، وهو اسم لم يتفق بعد على ضبطهTOTEM ولا تحديد معناه ، فهو في المشهور. وتوتم العشيرة هو توتم كل فرد من أفرادها ،كما أن لكل عشيرة توتمها الخاص ، وهناك 'توتم الاتحاد ' الذي هو رمز تندرج تحته مختلف العشائر في ذلك المجتمع ، وهو العلم الذي يحملونه

معهم في القتال ويدافعون عنه ويضعون على رؤوسهم بعضا من أجزائه أو أعضائه ويوجد الى جانب ذلك توتم خاص لكل فرد ، وهو يختلف عن توتم العشيرة وتوتم الاتحاد ، ويرتبط الفرد البدائي بتوتمه الخاص بعلائق وثيقة تجعله يعتقد أنه يشاركه خصائصه الكيفية والذاتية ، فإن كان توتمه هو النسر ، فهو يعتقد أنه يتميز بقوة الإبصار كالنسر ...ويعتقد كذلك أنه حاميه، فلا يقتله، ولا يذبحه ولا يتناول لحمه .

والفارق بين التواتم الفردية، و التوتم الجمعي ، إن هذا الأخير ورائي أما تواتم الأفراد فإختيارية .

5-2/ الإستصنام التوتمي:

بما أن التوتم يمثل رمز ديني قوي بالنسبة للفرد يراه كقوة قاهرة لغيره معينة له ،فإن النظرية العلمية نعتبرها كذلك بالنسبة لبعض العلماء الذين يرو أنفسهم يعرفون حقائق وينفردون بهذه المعرفة والاكتشاف، مستصنمين إياها في صورة قالب توتمي يستعينون به على غيرهم في مناظراتهم العلمية وإنجازاتهم التكنولوجية، بهذا يمكن القول بأن بعض العلماء يرون أنفسهم متميزين عن غيرهم في تحليل الظاهر العلمية من خلال تلك النظريات التي صاغوها بعد التحقق الإمبريقي منها، ولكن بعد اصطدامهم ببعض آيات القرآن التي تصف حقائقهم العلمية التي يتخذونها توتما بصورة أدق وأعمق وأبلغ، يجدون أنفسهم عاجزين بما تسلحوا من معرفة ونظريات علمية مبنية على حقائق مثبتة، وذلك من خلال دقة وصف الآيات والترتيب والدقة والتفصيل وسنذكر بعض منها كما يلي:

5-2-1/ إعجاز بلاغي وعلمي:

النمل الآية 88 (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) دقة في التعبير ودقة في تصوير دوران الأرض والحركة النسبية، فالمتمعن في هذه الآية يجد مدلولا ظاهرا والمتمثل في الحركة الدورانية للأرض، ومدلولا ضمنيا يتمثل في الحركة النسبية بين الأجسام، أي بين الناظر والجبال بالنسبة للأرض.

5-2-2/علم الكيمياء:

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: 18]

للنمل لغات تفاهم خاصة به من خلال الشفرات الكيمياوية

(قالت نملة يا أيها النمل)L hxanal

(أدخلوا مساكنكم) Lhxanol

(لا يحطمنكم سليمان وجنوده)Lundecanons

(وهم لا يشعرون)Le butyloctenal

وهنا يقف توتم علماء الكيمياء البيولوجية عاجزا أمام هذه الآية التي بينت أن للنمل لغة تخاطب يتفاهم بها فيما بينه.

5-2-3/الفرق بين الجلد والأمعاء:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ النساء56،﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾(محمد الآية15)

ليس هناك إحساس بالحرارة ولا بالألم في الأمعاء، ولكنه إحساس بالضغط فإذا جاء الضغط كافياً تقطعت الأمعاء.

5-2-4/تسخين الماء:

قال الله في كتابه القرآن الكريم: (وإذا البحارُ فُجِرتْ) (الانفطار الآية3)

العالم الفيزيائي رستم روي سخن ماء البحر إلى 1600 درجة مئوية فالتهب بسرعة كبيرة، لأن الماء عندما يسخن إلى درجة 1600 فما فوق ينفصل غاز الهيدروجين عن غاز الأكسجين ويحدث الانفجار وهذا من خواصهما فالأول يتفرقع والثاني يساعد على التوهج، ونشر مقالا في مجلة journal of aterials Deseard innavation

4. خاتمة:

كثيرا ما نلاحظ ونلتمس الحراك الديني للأفراد وخاصة العلماء منهم، من مختلف الديانات إلى الدين الإسلامي، وهذا يعود إلى فكرة الإستصنام التوتمي للحقائق العلمية التي يتوصل إليها عالم

ما، فيجعل منها صنما قويا لا تشوبه شائبة وكذلك أتباعه من الاتجاه أو مدرسة فكرية ما، فمثلا أنصار النظرية المادية الذين يعتقدون في أزلية الكون وثباته، إستصنموا هذه النظرية لوقت ما، وعندما جاءت نظرية الانفجار العظيم لتشكل الكون أدحظتها واستصغرت صنمها فتقزم، ولكن عندما وضعت نظرية الانفجار العظيم في مجهر القرآن تبين أنها ضعيفة الوصف وإن كانت صحيحة أمام الآية 30 من سورة الأنبياء:(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)

"ويقول "أحد الفلكيين : أنا أعرف اللغة العربية، ولا أحتاج أن تفسرها لي. إن هذه الآية آية عجيبة ..التفت إلي وقال :إنها لم تذكر فقط ما فصلته لك من الانفجار العظيم بل أضافت إليه اختيار اللغة المناسبة، و التركيب المناسب، فهذه الآية تعطينا مصطلحا دقيقا، وهو (الرتق)، وفي هذه الكلمة إشارة إلى البنية النسيجية للكون، وفيها إشارة إلى وجود النظام منذ بداية الخلق، وليس كما نذكر نحن بأن الكتلة الابتدائية التي خلق منها الكون كانت تعج بالفوضى." (نورالدين أبو لحية،2009،ص34) وكذلك علماء التشريح والأجنة من أمثال العالم الأمريكي كيث مور والعالم التايلاندي تاجاتان تاجاسون الذي عجز اعتقادهما العلمي في أنهما سبقا كل عالم ومتعلم بمعرفة مراحل تكون جنين الإنسان، وبعد قراءتهم للآية (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14).(المؤمنون) ومنه فإن مدى صمود الإستصنام التوتمي للعلم لا يعمر طويلا ، وإن اختلف مع آية من آيات القرآن، فهذا يعني أن النظرية العلمية لا تطابق الواقع العلمي في الظواهر الكونية سواء في أنفسنا او في محيطنا.

5. قائمة المراجع:

- القرآن الكريم

- أحمد مختار عمر.معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة- مصر: عالم الكتب،2008م، ج1، ص795-796.

- جميل صليبا،المعجم الفلسفي–بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنكليزية و اللاتينية ،دار الكتاب اللبناني-بيبروت،1982، ص 573.

-حسن علي مصطفى،نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي،مؤسسة الإسراء،قسنطينة-الجزائر،ط1، 1991،ص62.

-أندري لا لاند،موسوعة لالاند الفلسفية،منشورات عويدات-بيروت ،2001،ص1204.

-محمود عودة، أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، ذات السلاسل للطباعة والنشر،ط1989،2،ص146-147.